دور أم المقاوم في النضال الوطني الفلسطيني

خنساء فلسطين انموذجا

د. سائدة أبو البهاء

2021\11\3

المحتويات

ملخص 3

تقديم 4

شخصية الام الفلسطينية: ظروف المعيشة وعوامل التشكيل 5

الأم الفلسطينية وظروف معيشتها 5

شخصية الأم الفلسطينية وعوامل تشكيلها 6

الأدوار المركزية لأمهات المناضلين 6

الدور التربوي: الام حاضنة تربوية ورافعة نفسية 7

الدور الاقتصادي: الام مدبرة اقتصادية ومعيلة لأسرتها 8

الدور الوطني: الام حافظة للذاكرة والهوية والتراث 8

الدور النضالي: الام مقاومة ومشتبكة مع المحتل 10

نماذج مشرقة لأمهات مناضلين: خنساء فلسطين أنموذجا 12

خاتمة 16

توصيات 17

ملخص

تهدف هذه الورقة الى ابراز دور أم المناضل في النضال الوطني الفلسطيني من خلال دراسة نموذج خنساء فلسطين ام نضال فرحات حيث ركزت الورقة على الأدوار المركزية التي قامت بها أمهات المناضلين تحديدا في المجالات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والوطنية والنضالية وعبر المحطات المختلفة التي مر بها الشعب الفلسطيني منذ البدايات الأولى للاحتلال ونكبة فلسطين 1948 الى اليوم وخلصت الورقة الى ان الدور الذي لعبته الام الفلسطينية في النضال الوطني الفلسطيني هو دور فعال واصيل لا يمكن النظر له بهامشية والواقع الفلسطيني اثبت محوريته كما اثبت ان مركزية دور الام كصانعة للأجيال وعماد الاسر لا يتناقض مع حضورها وتميزها في مختلف ميادين الحياة.

دور أم المقاوم في النضال الوطني الفلسطيني

خنساء فلسطين انموذجا

تقديم

أمهات الشهداء... مدرسة هائلة وجامعة مفتوحة درسها مكثف تقدم التربية والتعليم لكافة أطياف الشعب وتؤمن له انتقالا سلسا من الانزواء الى المشاركة ومن التنظير الى التطبيق والانهماك في التفاصيل...

اللافت تصدر أعداد هائلة من الأمهات والزوجات اللواتي أبدعن تقديم الدرس والذي على غير المعهود من الدروس التي نتلقاها ونتذمر من حضورها فهو درس مشبع بالعزة والشموخ رغم الألم يفيض رفعة ومجد رغم الوجع ...

ربما يغيب عنا في زحمة تغطيتنا للادوار النضالية للشهداء والأسرى وتأريخ بطولاتهم تناول من وقف وراءهم ومن صنعهم ودفع بهم الى الفداء ... نهتم أكثر بالصف الأول ونغفل عن ما خلفه من صفوف رغم ادراكنا ان الصفوف بمجموعها كلها تصنع البطولة ... وربما حين نلتفت –الى هذه الصفوف الخلفية– نلتفت التفاتة إنسانية حزينة على حال من خلف وراءه من أبناء وزوجة وام ... نغلفها أحيانا بنظرة فخر لكنها لا تظهر الدور الحقيقي الذي لولاه لما كان الشهيد شهيدا ولا الأسير عظيما ...

على ان هناك دراسات تعرضت لعديد أدوار قامت بها المرأة الفلسطينية عموما وفصلت لادوارها في التعليم والفن المقاوم وفي النضال الوطني عموما لكنها لم تخص أمهات المناضلين... هذه الورقة ستحاول التركيز أكثر على هذا الدور المعظم لامهات المناضلين وابرازه كعنوان عريض من عنواين النضال الوطني الفلسطيني حيث قلت الدراسات المنهجية في تناوله بزواياه المختلفة وما ستجدونه مسطورا هنا هو نتاج معايشتي الشخصية لما مر من احداث مع قليل من التاريخ الذي لا بد من الاستعانة به والبناء عليه.

قبل الحديث عن أي دور لعبته أو قامت به أم المناضل واستحقت ان تكون انموذجا يقدم ومادة يحاضر بها وتعرض للدارسين والباحثين لا بد ان نتكلم عن الطبيعة التي أحاطت بهذه الام والظروف المعيشية التي صاحبتها قبل الاحتلال وبعده وكيف أثرت – هذه الظروف – على شخصيتها فأخرجت امرأة صلبة قوية الشخصية رفيعة الشأن تتحمل الصعاب فهي أم شهيد أو اسير أو مطارد أو أخت له أو زوجة أو قد تجمع بين ذلك كله أو بعضه فضلا عن ان تكون هي نفسها الشهيدة أو الاسيرة أو المطلوبة لدى سلطات الاحتلال الصهيوني.

شخصية الام الفلسطينية: ظروف المعيشة وعوامل التشكيل

طبيعة المرأة الفلسطينية وظروف معيشتها:

يرجع الفلسطيني في اصوله الى عصر الكنعانيين قبل الإسلام وجذوره ممتدة في أرض فلسطين ارتوت بدماء الفاتحين عبر التاريخ وقد اجتمع للمرأة الفلسطينية ما لم يجتمع لغيرها من نساء العالمين فهي تنتمي لخير أمة أخرجت للناس لسانها عربي مبين موطنها فلسطين أقدس الأوطان كل ذلك دفعها ان تفخر بنسبتها الى هذه الأرض وتدافع عنها وتقف في وجه كل غاصب

على أن الشعب الفلسطيني ومنذ أوائل القرن العشرين وقع تحت الاحتلال ولم يشاركه في ذلك أي شعب اخر فظروف الانتداب البريطاني منذ عام 1917 والاحتلال الصهيوني وما رافقه من الهجرة والتشتت عام 1948 و1967 وأحداث الانتفاضة الأولى عام 1989 والانتفاضة الثانية او ما يطلق عليها انتفاضة الأقصى عام 2000 ثم أوسلو وقيام السلطة عام 1993 ثم الانقسام عام 2006 وما رافق ذلك من حصار على غزة وأخيرا معركة سيف القدس عام 2021 كل ذلك جعل للام الفلسطينية طبيعة خاصة ميزتها عن نساء المنطقة وصنعت منها امرأة قوية تقف في وجه المحتل بعزيمة وثبات

أدت نكبة 1948 وانشاء ما يسمى " إسرائيل" على أرض فلسطين الى **زعزعة النسيج الاجتماعي الفلسطيني** وتهجير مئات الالاف من النساء لا زال غالبيتهن لاجئات في مخيمات بائسة

ومنذ نشأتها و"اسرائل" تنتهج **سياسة عنصرية** إزاء الأقلية العربية والتي تشكل النساء مكون رئيسي فيها وكذلك الحال بالنسبة للفلسطينيين في الضفة والقطاع بعد احتلالهما في حزيران 1967 حيث العدوان بكافة تلاوينه وصنوفه

استمرت حالة البؤس والحرمان بين اللاجئين في مناطق اللجوء المختلفة واضطر الكثيرون من أبناء الشعب الفلسطيني الى مواجهة الواقع الجديد كأفراد وفي أحسن الحالات كعائلات فلم يكن هناك أي جسم مركزي أو تنظيمات فعالة على المستوى المحلي تقف كسياج بين الانسان الفلسطيني والاحتلال سوى العائلة فكانت العائلة هي المستوى الذي تفاعل مع هذه الظروف كلها وحافظ على بقاء الانسان كهوية ومحور هذه العائلة الام وقد تحملت الام الفلسطينية اللاجئة على مدار سنوات النكبة القسط الكبير من **مرارة اللجوء وتحملت وزر الهجرة** فكانت الحامية للأسرة والهوية والتراث

شخصية المرأة الفلسطينية وعوامل تشكيلها:

لعبت العديد من العوامل والأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية دورا مهما في اظهار دور المرأة في النضال الوطني عبر التاريخ الفلسطيني المعاصر ومما لا شك فيه ان هذه العوامل مجتمعة تركت بصمتها على أداء ودور المرأة في الساحات النضالية عبر هذا التاريخ الطويل

كان المجتمع الفلسطيني يتألف في بداية القرن الحالي من أربع فئات: سكان مدن وقرى وبدو وبعد نكبة 1948 انضمت فئة جديدة لهذه الفئات وهي المخيمات.

وقد تأثر الواقع الاجتماعي للمرأة الفلسطينية في هذه الفئات بعاملين رئيسيين ساهما في تشكيل هويتها: الأول وهو الموروث الثقافي الذي بلور الثقافة الاجتماعية السائدة في المجتمع الفلسطيني والمستمد من جملة العادات والتقاليد المرتبطة تاريخا بالأمة العربية بالإضافة الى الموروث الديني حيث إن دين الغالبية الإسلام. أما العامل الثاني فهو الواقع السياسي الذي يعيشه المجتمع الفلسطيني خصوصا في ظل الازمات بدءا من الانتداب البريطاني 1917 ومرورا بالنكبة 1948 والنكسة 1967 وما تلى ذلك من انتفاضات ثم أوسلو وصولا الى الانقسام وحصار غزة وأخيرا معركة سيف القدس كل ذلك خلف اثارا انعكست على البيئة المجتمعية والتي نصفها المرأة محور حديثنا.

وحيث أن الثقافة داخل أي مجتمع هي الأساس الذي تنبثق عنه طبيعة الأدوار فقد تتأثر – أي الثقافة– بمجمل العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويعاد تشكيلها وتعريفها بناء على ظروف المجتمع في مرحلة تاريخية ما ويعد الواقع الفلسطيني معقدا في هذا المجال ففي حين يمكن اعتبار أن جملة من العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية حدت من بعض أدوار للمرأة في مثل ضعف مشاركتها في الحياة السياسية ومؤسسات صنع القرار الا انها أظهرت تميزا واضحا وأدوارا مركزية في أخرى كمثل دورها في بناء الاسر وصناعة المقاوم وهو ما سنأتي عليه تفصيلا في هذه الورقة.

الأدوار المركزية لأمهات المناضلين

الناظر الى مفاعيل المجتمع الفلسطيني يجد ان واقع المرأة الفلسطينية اختلف عن واقع المرأة العربية فالاحتلال الصهيوني فرض على المرأة الفلسطينية ان تعيش حياة مختلفة عن نساء العالم سواء فوق أرض فلسطين أو خارجها في دول الشتات وشمل التأثير جميع نواحي حياتها فقد حرمها من أبسط حقوقها في

الحياة والامن وحرية التنقل والرعاية الصحية والتعليم وحولها الى لاجئة محملة بأعباء ومسؤوليات تفوق طاقتها وقدرتها على الاحتمال وقد مثل الاحتلال تحديا قوميا للمرأة الفلسطينية أفرز أدوار مختلفة.

على أن الدور الريادي والذي برز جليا رغم قلة الدراسات المنهجية والبحثية بحقه فهو دور ام المناضل في النضال والمقاومة والذي سنحاول عبر هذه الدراسة القاء الضوء عليه.

تأثرت المرأة الفلسطينية بشكل مباشر بالواقع الفلسطيني الذي نشأ سواء بعد الانتداب البريطاني وما رافق تلك الحقبة من ثورات وتضحيات ثم الحروب المتعاقبة 1948 و1967 والهجرات المتتالية كنتيجة لهما حيث وجدت المرأة الفلسطينية نفسها في مواجهة أوضاع الفقر واليتم والتشرد وغياب رب الاسرة ومعيلها فكان عبؤها مضاعفا بسبب كل هذه الظروف.

لقد قامت المرأة الفلسطينية ضمن هذه الظروف بمهمتين رئيسيتين: الاولى تربية الأبناء وصناعة المقاومين والثانية الاشتباك مع المحتل والمشاركة في نضالات شعبها.

أولا: الدور التربوي: الام حاضنة تربوية ورافعة نفسية

تشير الدراسات التربوية الى ان السنوات الأولى التي يقضيها الطفل في منزله تعد من اكبر المؤثرات المسؤلة عن تشكيله في المستقبل وقد أدركت الام الفلسطينية و منذ البدايات الأولى للاحتلال دورها المركزي في البيت واثرها على تنشئة الأجيال وتوجيههم نحو الأهداف الوطنية فهي الأكثر تواجدا فيه والاكبر اثرا على الأولاد.

كان دور الام الفلسطينية جليا في التنشئة الوطنية لخلق وعي مقاوم للاحتلال الصهيوني فقد غرست في نفوس اطفالها المبادئ والقيم الوطنية كالثبات والتضحية ... لكن الامر لا يعدو نظريا لام المناضل بل تعداه للتطبيق حيث قدمتهم للشهادة دون تردد وكانت تربيتها لأولادها ذات ابعاد شمولية وصياغتها لشخصياتهم صياغة بالغة الاصالة والابداع أثمرت نماذج مقاومة عاشت لوطنها وانطلقت تقتحم حصون الشهادة وتدك عروش المحتل وتعيد للشعب المكلوم شيئا من الامجاد ولولا هذه التربية العقائدية للأبناء لما كانت هذه التضحيات الهائلة على مدى قرن و يزيد[1].

[1] دور المرأة الفلسطينينة في المقاومة والبناء دراسة عبر المسار التاريخي ، رغد الأحمد، الراية للبحوث والدراسات ،2020

استطاعت الام الفلسطينية أن تحمي أسرتها من الانهيار النفسي خاصة في فترات الازمات وبرز دورها كرافعة نفسية في غياب الزوج سواء بالاسر او الشهادة فكانت الحاضة التربوية لابنائها والداعمة النفسية لهم.

ثانيا: الدور الاقتصادي: الام مدبرة اقتصادية ومعيلة لأسرتها

شكلت الانتفاضة الأولى منعطفا هاما في ابراز الدور الاقتصادي المرأة للفلسطينية حيث لجأت الام الفلسطينية في فترات الاغلاق التام او ما كان يعرف آنذاك بمنع التجوال لجأت الى اتباع سياسة الاكتفاء الذاتي ورسخت مفهوم الاقتصاد المنزلي حيث اتجهت الى الزراعة واستخدام طرق تقليدية في حفظ وتخزين الأغذية محاولة منها لكسر الحصار الذي تفرضه قوات الاحتلال للحفاظ على الاسرة.

استطاعت الام الفلسطينية ان تفشل سياسة الاحتلال في فرض الحصار الاقتصادي على القرى والمخيمات حيث كانت تحمل كميات كبيرة من الخبز الذي حضرته بالطابون حيث قطع الاحتلال الكهرباء ومنع الغاز وتسلك طرقا وعرة مخترقة الحصار لمساعدة الأهالي المحاصرين مما عزز من صمودهم وحراكهم اليومي ضد الاحتلال.

برز الدور الكبير للمرأة الفلسطينية في التنشئة الاجتماعية خاصة عند اعتقال رب الاسرة او ابعاده او استشهاده حيث مثلت الام الركن الرئيس في اعالة ورعاية الاسرة والاهتمام بشؤونها ومن الجيد الإشارة الى ان عشر الاسر الفلسطينية تعيلها بالكامل نساء حسب إحصاءات جهاز الإحصاء الفلسطيني[2].

المرأة الفلسطينية زوجة عظيمة شدت من أزر زوجها وأبدت تكاتفها معه في جميع احواله خاصة في فترات الاسر حيث استطاعت ان تقوم بما لم تقم به مؤسسات مجتمعة فهي ليست المربية والمعيلة فقط، بل المدرسة الخصوصية الحريصة على التحصيل العلمي المتميز لأبنائها وهي العاملة بكل ما يلزم البيت من تصليحات ... كل ذلك وهي مؤمنة بأهمية الدور الذي تقوم به في تثبيت دعائم الاسرة مما مهد للرجال أرضية ثابتة ومنطلقا للمقاومة.

ثالثا: الدور الوطني: الام حافظة للذاكرة والهوية والتراث

تعرضت الهوية الفلسطينية الى استهداف مباشر من قبل الاحتلال الصهيوني واعتبرت الام الفلسطينية ممارسات الاحتلال القهرية تحديا لهويتها وانتمائها لقضايا وطنها وشعبها وأدركت أهمية تعاضد دورها جنبا

[2] https://www.pcbs.gov.ps/postar.aspx?lang=ar&ItemID=3678 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني،2019

الى جنب مع دور الرجل في الحفاظ على الموروث الثقافي والهوية الوطنية الفلسطينية وبات الحفاظ عليها من أولويات المرأة الفلسطينية عموما والام بشكل خاص التي أظهرت قدرة مميزة حيث ابدعت أساليب مختلفة كالحكاية والغناء والتطريز...

1) الذاكرة والتاريخ الشفوي:

كان لطبيعة المرأة أولا وأسلوب عيش النساء الفلسطينيات دورا أساسيا في تنمية قدرتها على الاهتمام بالتفاصيل وتذكر الاحداث فتواجدها الدائم في البيت ومحيطه قوى من قدرتها على رؤية الأشياء بتفاصيلها والدقة في حفظها.

كان للذاكرة دور رئيسي في الحفاظ على الهوية والتاريخ الفلسطيني وافشال المحاولات الإسرائيلية المستمرة لاستبدال الرواية الفلسطينية وبالتالي طمس الهوية وبعثرة الذاكرة الوطنية الجمعية التي يحرص الفلسطيني على التمسك بها ونشرها خاصة في ظل غياب السجلات والوثائق ذات العلاقة بالأحداث التاريخية التي مر بها الشعب الفلسطيني.

بالتاريخ الشفوي نقلت الام حب الوطن بالتواتر الى الأجيال عبر الحكاية والرواية الشفهية واستحضرت على الدوام حراك الوطن وكفاح شعبه المستمر بتفاصيله و ربطت الام اطفالها بتاريخ فلسطين معرفة وانتماء فمهما كانت الظروف تجد الام الفلسطينية منهمكة في محاولة نقل الذاكرة وزراعة الايمان بحق العودة والحرية لدى أبنائها لذلك تعتبر الام ان من واجبها وجزء من نضالها ان تنقل التاريخ بين الأجيال وتحرص على ابقائه حيا قادرا على الصمود في وجه السياسات التهويدية المستمرة والمتمثلة في تدمير القرى الفلسطينية واخفاء معالم تدل على عروبتها والقلب الكامل والقسري لتركيبة فلسطين الديموغرافية واستمرار الاستيطان.

2) التراث والفن

دأبت المرأة الفلسطينية على اتقان فن التطريز ونشاهد اثوابهن وقد تلونت بألوان العلم الفلسطيني ورموز التراث مثل المفتاح للتعبير عن حق العودة والزيتون والأرض للتعبير عن معاني ومكانة الأرض في وجدان الفلسطيني وقضيته

ومن خلال هذا النوع من الفن استطاعت المرأة ان توثق وتقص قضيتها بكافة تفاصيلها وقد تجلى الحفاظ على الهوية والموروث الثقافي في تطريز وصناعة الكوفية الفلسطينية وفي ثنايا حياكتها وارتدائها تأكيدا منها على أهمية الحفاظ على معالم تراث وثقافة شعب متراكمين على ارضه منذ عصور.

ضمن هذا السياق يتضح مدى التصدي والتحدي للمحاولات الممنهجة التي يقوم بها الاحتلال لسرقة ونسب تراث الشعب الفلسطيني لتاريخ صهيوني مزعوم في اثناء محاولاته طمس الهوية الوطنية الفلسطينية وابعاد الأجيال الفلسطينية القادمة عن ماهية تلك الهوية وعناصرها.

اذن لم يكن من السهولة بمكان الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية بكافة اشكالها وتجلياتها لولا تظافر مختلف فئات المجتمع الفلسطيني وتفاعل المرأة الإيجابي والمركزي بهذا الصدد.

رابعا: الدور النضالي: الام مقاومة ومشتبكة مع المحتل

مثلت المرأة الفلسطينية بنضالاتها الوطنية علامة فارقة في تاريخ الشعب الفلسطيني، بل كانت من أكثر نساء العالم حضورا في تاريخ النضال الوطني وكان للحراك النضالي للشعب الفلسطيني تأثيرا كبيرا على تكوين شخصيتها حيث وصلت الى رجة من الفكر والوعي دفعها الى ادراك دورها وانخراطها في النضال الوطني منذ البدايات الأولى وقبيل تأسيس دولة الكيان الصهيوني عام 1948 فحملت السلاح في ثورة 1936 (المناضلة حلوة زيدان ولينا النابلسي...) وداوت الجراح وخرجت ثوار مشبعين بكل معاني الثورة والتحرير.

مع احداث الكبة عام 1948 وما تلاها حملت الام الفلسطينية وزر الهجرة فكانت الحامية للأسرة والهوية والتراث وشكلت بأثوابها متعددة الألوان نموذجا متميزا بالانخراط بالعمل الوطني بالمشاركة في التظاهرات ضد المحتل قاومت واعتقلت وخرجت من المعتقل أكثر إصرارا على حقها في المقاومة ودحر المحتل وجرحت واستشهدت وطردت كل هذا لم يمنعها من مواصلة عملها الكفاحي وقد شكلت عمليات شادية أبو غزالة 1968 ودلال المغربي 1978 وعملية ليلى خالد خطف الطائرة الاسرئيلية منعطفا جديدا في تاريخ النضال الفلسطيني.

وقد تناولت بعض الدراسات الدور الوطني المقاوم للمرأة الفلسطينية عموما وفصلت ما يخص مقاومتها الباسلة منذ البدايات الأولى للانتداب البريطاني وما تلاه من حروب خاضت فيه المرأة الفلسطينية النضال و حملت السلاح جنبا الى جنب مع اخيها الرجل لكني في هذا العنوان تحديدا سأركز على **دور ام المناضل في الاشتباك مع المحتل** والذي برز جليا في الانتفاضة الأولى وما تلاها.

يمكن تعريف الانتفاضة الأولى على أنها عمل جماهيري مقاوم شاركت فيه كافة القطاعات الشعبية وتحول بفعل عدة عوامل داخلية وخارجية الى نمط حياة يومي كان أساسه رفض واقع الاحتلال والعمل على تأسيس واقع اجتماعي سياسي بديل وبذلك شكلت الانتفاضة الشعبية الأولى منعطفا هاما في نوعية ومضمون مشاركة الام الفلسطينية في النضال الوطني.

ويمكن تلخيص بعض أدوار العمل النضالي المباشر الذي ساهمت به **ام المناضل** بما يلي:

- مساعدة الفدائيين بإمدادهم بالاحتياجات الضرورية من غذاء ولباس ودواء ومعلومات ...

- حماية الشبان من اعتداءات الجنود وعرقلة عمليات الاعتقال وتحرير العديد منهم من ايدي جنود الاحتلال وإنقاذ اعداد كبيرة منهم بتهريبهم وتوفير كمائن لهم داخل البيوت او الحقول والمزارع

- لجأت الام المقاومة الى توفير القماش بألوانه الأربعة ووقفت لساعات طويلة تخيط راية العزة والنصر وزودت المقاومين بكميات كبيرة وبأحجام مختلفة من الاعلام الفلسطينية لترفرف معلنة ان فلسطين حرة

- خرجت وشاركت في الاعتصامات والمظاهرات واصطدمت مع المحتل متحدية الغازات السامة والدبابات والرصاص وقدمت نفسها او أبنائها شهداء او جرحى او أسرى على درب الحرية

- نتيجة للدور الهام والجريء للمرأة الفلسطينية أدركت الإدارة الإسرائيلية الصهيونية ذلك وأصدرت قرارا باعتقال النساء كما الرجال وقالت " ان الحرب هي الحرب وان للنساء الفلسطينيات دورا فعالا في الانتفاضة لذلك لا بد من اعتقالهن وتعذيبهن اذا لزم ونزع الاعتراف منهن[3].

- لم تأبه المرأة الفلسطينية لقرار المحتل واستمرت بالمقاومة بأشكالها المختلفة واعتقلت وجرحت وطردت كل هذا لم يمنعها من مواصلة عملها الكفاحي فخاضت العمليات الاستشهادية في ظاهرة

[3] مجلة الوطن العربي عدد 85-611-10/1988/28

جديدة ميزت العمل المقاوم النسائي في انتفاضة الاقصى والتي شكل دخولها وبهذه الجسارة حالة غير مسبوقة تاريخيا أضافت مكسبا نوعيا لسجل المرأة الفلسطينية باثبات قدرتها على الحاق الخسائر المادية والبشرية في قلب المحتل وهنا نستحضر عمليات وفاء ادريس ،دارين أبو عيشة، آيات الاخرس، ريم رياشي، الحاجة فاطمة النجار ام محمد 58 عام،... و نشير هنا الى ان الاحتلال الإسرائيلي يواصل اعتقال 11 أُمّا في سجونه من بين 40 أسيرة يقبعنّ غالبيتهن في سجن "الدامون"، ويحرمهن من أطفالهن، عدا عن ظروف الاحتجاز القاسية التي تواجهها الأسيرات والإجراءات التنكيلية الممنهجة ومن الجيد الإشارة الى أن ثماني أسيرات أنجبن في سجون الاحتلال تاريخيًا، وتعرضن لظروف قاهرة وغير إنسانية [4].

نماذج مشرقة لأمهات مناضلين:

في واقعنا الفلسطيني يمكن القول ان وراء كل شهيد عظيم أو أسير امرأة عظيمة

فقد حفل التاريخ الفلسطيني بالعديد من النماذج الرائعة لأمهات فلسطينيات واللاتي أسهمن في صناعة الشهداء وصياغة أسس وملامح الشخصية الفلسطينية القادرة على حماية المشروع الوطني المقاوم والمؤهلة لتحمل تبعات وتحديات المرحلة

وحيث اننا لا نستطيع ان نحصي أمثال هؤلاء النسوة فكثير منهن لم يظهر لنا امرهن ربما لضرورة امنية او لاستمرار طريق المقاومة لكن اقتضت الضرورة ان تبرز نماذج وتظهر في الاعلام حتى يكن اسوة حسنة لنساء فلسطين والعالم بأسره. ولعلنا هنا نستعرض سيرة عدد قليل من الأمهات او الزوجات الماجدات اللاتي استحقت كل واحدة منهن لقب خنساء عصرها فما اثر عن ام شهيد انها كرهت لابنها الشهادة وهذا يجعلها شريكة له في المقاومة.

قدمت الام الفلسطينية على مدار الثورة العديد من النماذج المشرفة والمشرقة التي كانت منارات نضالية وثورية ليس على صعيدي المرأة الفلسطينية والعربية فحسب بل على الصعيدين الإقليمي والعالمي ورغم ان مجتمعاتنا لا تتصف بالكثير من الانصاف بحق المرأة عموما الا ان للمرأة المقاومة مكانة خاصة تكسر كل حواجز التمييز ضدها وتدفع المجتمع لإبداء احترام خاص لتضحياتها ودورها النضالي.

[4] http://palestineintifada.net/spip.php?article8756

أم نضال فرحات: والدة الاستشهادي محمد والشهيد نضال والمعتقل وسام فتحي فرحات

خنساء فلسطين ...

جبل في الصلابة وقوة في الحق والإصرار على مواجهة المحتل...

بحر هادر في الثورة والغضب على الصهاينة...

مرج عامر يتدفق حبا للوطن...

قلب مرهف ينبض ايمانا ...

تشكيلة إبداعية لشخصية المرأة الفلسطينية العربية المسلمة

- **الميلاد والنشأة[5]:**

ولدت بعد النكبة في 24 كانون الأول 1949 بغزة لأسرة بسيطة من قطاع غزة ولديها 10 من الاخوة و5 من الاخوات سكنت حي الشجاعية تفوقت في دراستها وتزوجت من فتحي فرحات في بداية الثانوية قدمت امتحان الثانوية وهي حامل بمولودها الأول –الذي سيكون لاحقا القائد القسامي نضال فرحات– انجبت 6 من البنين و4 من البنات تعود أصول عائلتها محيسن الى عائلة المغني وهي من أقدم العائلات الغزية في حي الشجاعية

- **إيواء المطاردين والاستشهاديين:**

استشعرت، ام المناضلين ام نضال فرحات امومتها لأبناء الوطن المناضلين مبكرا وكانت البداية عام 1992 حيث اوت في بيتها المتواضع الشهيد عماد عقل ... العقلية العسكرية الفذة ... سيد الاشتباك من نقطة صفر... الملثم الذي قفز عن قاعدة "السلاح قبل التخطيط" الى "السلاح بعد التنفيذ" [6]أي ان شح السلاح ليس عائقا امام تنفيذ العمليات التي يمكن من خلالها الاستيلاء على أسلحة الجيش.

هو قائد الجناح العسكري لحركة حماس (كتائب القسام) واخطرهم على الاحتلال الصهيوني آنذاك

[5] https://ar.wikipedia.org/wiki/خنساء_فلسطين

[6] https://www.sasapost.com/the-story-of-emad-aqel

وكان عقل على راس قائمة المطلوبين للاحتلال وقد اطلق الاحتلال عليه "ذو الأرواح السبعة" أطلق عليه رابين لقب " الأسطورة" وعلق رابين بعد احدى عمليات عقل قائلا" أتمنى ان اصحو من نومي واجد غزة وقد ابتلعها البحر"[7]

أشرفت ام نضال على ايوائه على الرغم من مخاطر وعواقب ذلك الايواء وقامت بعرض فكرة حفر خندق خلف بيتها ليكون مخبأ له وللشباب المقاوم فيما بعد وتحول منزلها الى غرفة عمليات ينطلق عماد منه ينفذ عملياته العسكرية فيقتل ويصيب ويثير الرعب في صفوف المحتل ثم يعود الى منزلها

الى ان التقطه أحد العملاء فحاصرت قوات خاصة إسرائيلية متخفية بسيارات مدنية وكان وقت اذان المغرب وعماد صائم واخذت ام نضال تثبت عماد وهو مشتبك مع الاحتلال ومعه مسدس واحد فقط فقتلوه على باب منزلها بوابل من الرصاص.

- **ابنها الاستشهادي محمد فرحات:**

الاستشهادي محمد فرحات 17 عاما منفذ عملية اقتحام معسكر تدريب جنود صهاينة في مغتصبة (مستوطنة) عتصمونا في مجمع مغتصبات غوش قطيف قتل فيها 9 جنود إسرائيليين[8].

تدرب على يد عماد عقل وعلى يد أخيه الأكبر نضال وقبل خروجه للعملية ظهرت ام نضال مع ابنها محمد بتسجيل مصور في مطلع عام 2002 وهي تقبله قبلات الوداع وسجل وصيته معها[9] وهو حامل لسلاحه فكانت اول ام فلسطينية تودع ابنها وهو خارج الى عملية استشهادية في تسجيل مصور واوصته الا يعود الا مثخنا في عدوه محمولا على اكتاف الرجال وقد كان.

كتب الصهيوني ايجال سيرنا معلقا على مشهد ام نضال فرحات: " ان ما قامت به ام نضال فرحات ينذر بمستقبل سيء لإسرائيل لان من يشاهد هذه المرأة وهي تودع ابنها بكل هذا الحماس يصل الى قناعة مفادها ان لا يمكن اخضاع الشعب الفلسطيني بالقوة مطلقا"[10]

---

[7] غزة-بعد-16-عاما-من-الانسحاب/https://qudsn.net/post/186947

[8] عملية_اقتحام_مستوطنة_عتصمونا/https://ar.wikipedia.org/wiki

[9] https://www.youtube.com/watch?v=K5DrSit-HPo

[10] https://alnnour.com/?p=62204

- **اغتيال ابنها الثاني القائد نضال:**

بعد عام واحد أي في عام 2003 قدمت بكرها نضال فرحات (31 عاما) القائد الميداني في كتائب عز الدين القسام الذي عرف ب " مهندس الصواريخ" وهو اول من صنع صاروخا في فلسطين برفقة الشهيد تيتو مسعود صاحب فكرة صناعة الصواريخ[11]. وقد ظهر نضال في تسجيل مصور بث في فيلم "نسمة إعصار" الذي انتجته كتائب القسام وهو يدرب أخيه محمد فرحات قبل خروجه لتنفيذ عملية الاقتحام بأيام وبمشهد اخر وهو سهران معه يعلمه ما يصنع اثناء الهجوم وكيف يتعامل مع السلاح. اغتاله جيش الاحتلال الصهيوني وهو يحاول تجهيز طائرة القسام بدون طيار (ابابيل 1) التي أعلنت عنها كتائب القسام لاحقا في 2014.

- **اغتيال ابنها الثالث رواد:**

لم يمر عامان حتى استشهد ابنها الثالث رواد بعدما قصفت الطائرات الحربية الصهيونية سيارته في قطاع غزة عام 2005.

كما قضى ابنها الرابع 11 سنة اسيرا في سجون الاحتلال

- **قصف بيتها:**

قصف بيتها اربع مرات وعندما عرضت الحكومة على ام نضال إعادة بناء بيتها بعد قصفه رفضت الا بعد ترميم جميع الدمار الذي لحق ببيوت جيرانها جراء القصف.

- **نشاطها الاجتماعي:**

كانت عضوا بلجنة التربية في كتلة التغيير والإصلاح ورئيسة جمعية الشموع المضيئة شاركت في العديد من الندوات والمحاضرات والاحتفالات والمهرجانات

- **نشاطها السياسي:**

ترشحت ام نضال للمجلس التشريعي 2006 وسافرت الى عدة دول تجلب مساعدات لاهل غزة بعد ان فرض عليها الحصار.

[11] https://ar.wikipedia.org/wiki/

- **نضالها العسكري:**

لم تكتف ام نضال تقديم ابناءها للشهادة وفتح بيتها للمناضلين، بل شاركت في اطلاق صواريخ القسام بنفسها على المستوطنات الصهيونية وكانت تتفقد المرابطين على حدود غزة وتحضر لهم طعام السحور في رمضان.

- **وفاتها:**

في يوم 17 اذار 2013 توفيت ام نضال في مستشفى الشفاء بقطاع غزة بعد صراع مع المرض استمر سنوات[12]. تناوب على حمل جثمانها رئيس الوزراء آنذاك إسماعيل هنية ورئيس المجلس التشريعي بالإنابة احمد بحر وحضر الجنازة جمع غفير من نواب ووزراء واحيط الجثمان بمجاهدي القسام والقى هنية كلمته في المسجد الذي صلى عليها فيه حيث أجمل حياتها بجوامع الكلم " غرست ... حرست... مارست".

خاتمة

المرأة الفلسطينية اما او زوجة او اختا او ابنة هي عصب رئيس في الثورة الفلسطينية تاريخا وواقعا ودورها في المقاومة اتخذ اشكالا متعددة مباشر في الاشتباك مع المحتل وغير مباشر في اعداد أجيال ممتلئة ايمانا بقضية شعبها ومستعدة للتضحية بالروح في سبيلها.

ان دور المرأة الفلسطينية وتحديدا ام المناضل في الساحة النضالية الفلسطينية ليس مستحدثا ولا تابعا بل هو اصيل وشريك أساسي في الماضي والحاضر ويؤكد ان المرأة الفلسطينية وفي كل محطات النضال الوطني التحرري لمقاومة شعبنا ومعركته المصيرية لنيل حقوقه رقما صعبا لا يمكن لاي كان تجاوزه و ان هذا الدور الفعال _الذي لعبته ام المناضل– اظهر وجه وقدرة المرأة الفلسطينية في ميادين النضال الفلسطيني المختلفة فقد لعبت دورا مركزيا في مواجهة المحتل تؤديه داخل المنزل وخارجه.

على الرغم من المساهمة البناءة للام الفلسطينية في صون الكيانية الفلسطينية الا ان الأبحاث والدراسات التي تتحدث عن دور الام النضالي في الحفاظ على الهوية ومقاومة الاحتلال لا زالت قليلة وغير كافية

[12] https://www.almasryalyoum.com/news/details/295799

للوقوف على ابعاد هذا الدور والإلمام والاحاطة به على المستويات كافة بما يخدم حضورها وتطلعاتها النابعة من ايمانها بفلسطين وطن وقضية.

توصيات:

بناء على ما تقدم نوصي بما يلي:

- ✓ ضرورة تعميق وتوسيع المضمون الوطني في مناهج التعليم والتشديد على ان التميز الكفاحي في مراحل النضال المختلفة الذي خطته المراة الفلسطينية والذي لا يزال يفتقد الى الأساس الاجتماعي العادل الذي يضمن حضورها يؤكد قدرتها الفاعلة في مشروع التحرر.

- ✓ ضرورة تجاوز الجدل بخصوص دور المرأة في النضال الوطني فالواقع الفلسطيني اثبت محوريتها فيه وان مركزية دور الام كصانعة للأجيال وعماد الاسر لا يتناقض مع حضورها وتميزها في كافة ميادين الحياة فمعيار الحضور الكفاءة ، بل ان دورها لازم وضروري ومساهمتها واجبة في كافة صنوف الادب والعلوم والمقاومة.

- ✓ نوصي بالحاجة لعمل موسوعي يؤرخ لادوار المراة عبر التاريخ النضالي الفلسطيني يليق بتضحيات الام الفلسطينية في داخل فلسطين وفي المهاجر القريبة والبعيدة.

- ✓ تكريم أمهات وزوجات الشهداء لا يكون بمهرجان هنا وكلمة هناك ولا حتى بكفالة يتيم بل كفالة تامة كاملة تضمن لهم حياة كريمة تليق بهم و بتأريخ سيرهم ونهجهم المقاوم ليظلوا منارات الشعب وعنوان كفاحه.

- ✓ ضرورة الخروج من حالة النمذجة الى تعميم الحالة فالقضية الفلسطينية بحاجة لكل جهد وكل طاقة ودور النساء في النضال هو مكمل لدور الرجال وشريك له ولا ينبغي النظر اليه كدور هامشي او زائد، بل هو اصيل ومركزي.

عن المؤلف:

د. سائدة أبو البهاء Saida Abubaha/Atawna

أكاديمية فلسطينية ورئيس منسقية تركيا وعضو الهيئة العامة للمؤتمر الشعبي لفلسطيني الخارج

الخبرات الاكاديمية:

أنهت درجة الدكتوراة من الجامعة الوطنية الماليزية UKM عام 2014

لديها العديد من الابحاث العلمية المحكمة عرض بعضها في عدد من المؤتمرات العالمية يمكن الاطلاع عليها على حسابها على ResearchGate

عملت سابقا كمحاضرة في جامعة بيرزيت في فلسطين في الفترة ما بين 2003–2009 ثم في جامعة القدس المفتوحة في فلسطين 2009–2010 قبل ان تنتقل الى ماليزيا ومن ثم الى اسطنبول

تعمل حاليا في أكاديمية الامام مالك في اسطنبول

النشاط المجتمعي:

رئيس منسقية تركيا وعضو الهيئة العامة للمؤتمر الشعبي لفلسطيني الخارج

شاركت في العديد من المؤتمرات وأدارت ورش عمل في عدة قضايا تعنى بالشأن الفلسطيني آخرها مؤتمر أولويات القضية الفلسطينية في المرحلة الراهنة والذي عقد في اسطنبول في اكتوبر 2020

والمؤتمر الحواري لفلسطينيي الخارج في مارس 2021